

Arabian Gulf Journal of Humanities and Social Studies

ISSN: 3080-4086

الإصدار السابع - العدد التاسع عشر || تاريخ الإصدار 2026-10-20



الجزور التاريخية للاسلاموفوبيا وتأثيراتها في الجاليات المسلمة في الغرب

The Historical Roots of Islamophobia and Its Impact on Muslim Communities in the West

م. د. وليد كاسد الزيدي

Lect. Dr. Waleed Kasid al-Zaidi

كلية الآداب – جامعة الإمام الصادق (ع) - بغداد – العراق

ORCID: [0009-0000-9969-6615](https://orcid.org/0009-0000-9969-6615)

DOI: <https://doi.org/10.64355/agjhss71937>

مجلة خليج العرب للدراسات الإنسانية والاجتماعية || هذه المقالة مفتوحة المصدر موزعة بموجب شروط وأحكام ترخيص مؤسسة المشاع الإبداعي (CC BY-NC-SA)

Clarivate | ProQuest

Ulrichsweb™

Crossref doi

ISSN
INTERNATIONAL
STANDARD
SERIAL
NUMBER
INTERNATIONAL CENTRE



Google Scholar

معرفة
e-Marefa



شبكة المعلومات العربية
Arab Educational Information Network

AskZad



Scilit

INTERNATIONAL
Scientific Indexing

المنظومة

الملخص:

تتناول هذه الدراسة ظاهرة الإسلاموفوبيا بوصفها ظاهرة غدت خطيرة في معظم دول الغرب، ولا سيما الدول الأوروبية التي تقطنها جاليات عربية ومسلمة كبيرة. وتنتقل من أن هذه الظاهرة ليست حديثة، بل لها جذور تاريخية عميقة في العلاقة بين الغرب والشرق، وإن عادت إلى الواجهة بحدة منذ نحو عقدين لأسباب سياسية ودينية واجتماعية متشابكة.

واعتمدت الدراسة المنهجين التاريخي والتحليلي المقارن، وتوزعت على مبحثين. تناول المبحث الأول مقارنةً إبستمولوجية للمفهوم، فعرض أبرز تعريفات مصطلح الإسلاموفوبيا وأوجه الخلاف حولها، ثم تتبّع جذورها التاريخية منذ بداياتها حتى بروزها ظاهرةً تسترعي الاهتمام، مع بيان أسباب تناميها في العقود الأخيرة. وعالج المبحث الثاني أنماط الإسلاموفوبيا وتوجّهاتها، ولا سيما في فرنسا، ودور الإعلام الغربي في الترويج لها وبتّ خطاب الكراهية تجاه المسلمين.

وخلصت الدراسة إلى أن الإسلاموفوبيا امتداد لأنماط قديمة من التمييز الديني والعنصرية تصاعدت وتيرتها في العقود الأخيرة، وأن رسوخ الصور النمطية في الوعي الجمعي يمثل المعضلة الأساس التي يستثمرها الإعلام في منحى تشويهي أو تحريضي، وأن الحدّ منها مسؤولية مشتركة تستلزم مقارنة متكاملة تجمع بين التوعية والتعليم، والحماية القانونية لحقوق الأقليات، ومعالجة التمييز، والتصدي لخطاب الكراهية دون المساس بحرية التعبير.

الكلمات المفتاحية: الإسلاموفوبيا، الجذور التاريخية، الجاليات المسلمة، خطاب الكراهية، فرنسا، الغرب.

Abstract:

This study examines Islamophobia as a phenomenon that has become a serious concern in most Western countries, particularly European states with large Arab and Muslim communities. It argues that the phenomenon is not new but has deep historical roots in relations between the West and the East, even though it has resurfaced with particular intensity over the past two decades owing to intertwined political, religious, and social factors.

Adopting the historical and comparative-analytical methods, the study is organized into two sections. The first offers an epistemological approach to the concept, reviewing the principal definitions of Islamophobia and the disagreements surrounding them, and then traces its historical roots and the causes of its growth in recent decades. The second addresses the forms and orientations of Islamophobia, especially in France, and the role of Western media in promoting it and spreading hate speech against Muslims.

The study concludes that Islamophobia extends long-standing patterns of religious and ethnic stereotyping that have intensified in recent decades, and that the entrenchment of these stereotypes in collective consciousness is the core problem, one that the media exploit for distortion or incitement. Curbing it is a shared responsibility requiring an integrated approach that combines education and awareness-raising, legal protection of minority rights, measures against discrimination, and efforts to counter hate speech without infringing on freedom of expression.

Keywords: Islamophobia; historical roots; Muslim communities; hate speech; France; the West.

المقدمة:

تسعى هذه الدراسة إلى توضيح ماهية مصطلح «الإسلاموفوبيا»، وتتبع الجذور التاريخية لنشأة هذه الظاهرة، ومن ثمّ تحليل أسباب صعودها وعواملها، فضلاً عن استشراف مخاطرها المستقبلية المحتملة على الديمقراطية في العالم عموماً وفي الغرب خصوصاً، وعلى وحدة الاتحاد الأوروبي، وعلى النظام الديمقراطي الليبرالي.

وتتناول الدراسة دور الإسلاموفوبيا في الترويج للعنف والكراهية في الغرب تجاه المقيمين والأقليات؛ إذ يتطرق المبحث الأول إلى بيان ماهية مصطلح الإسلاموفوبيا وتعريفاته وأوجه الخلاف حوله، ثم يتتبع الجذور التاريخية لظهور هذه الظاهرة وأسباب تناميها وظروفه في السنوات الأخيرة، ولا سيما بعد أن غدت مظهرًا من مظاهر التطرف والعنصرية، واتسعت رقعتها في الغرب، وتحديداً بعد أحداث تشرين الثاني/نوفمبر 2015 في فرنسا وما أعقبها من أحداث وأزمات.

ويدرس المبحث الثاني أشكال الإسلاموفوبيا وأنماطها وتوجهاتها، وعلاقتها بإثارة الكراهية إزاء الجاليات الإسلامية، مع بيان الدور السلبي للإعلام الغربي في تأجيجها وإثارة مشاعر البغض والكراهية، فضلاً عن دور اليمين المتطرف في تبني هذه الظاهرة، ولا سيما بعد أن شهدت أوروبا موجاتٍ من المهاجرين القادمين من مستعمراتها السابقة ذات الثقافة الإسلامية، ممن استقروا فيها وأصبحوا مقيمين دائمين. وإذا كانت هذه الدراسة تقدّم تعريفاتٍ شاملةً للمصطلحات والمفاهيم المتعلقة بالإسلاموفوبيا، فإنها تقدّم في الوقت نفسه تحليلاً شاملاً للأطر المعيارية الدولية التي طوّرت لمواجهة خطاب الكراهية في وسائل الإعلام وعلى شبكة الإنترنت، وتداعيات هذه الأطر على حرية التعبير.

أولاً: أهمية الدراسة

يكتسب موضوع الدراسة أهميةً بالغةً لكونه يعالج ظاهرة الإسلاموفوبيا، وهي ظاهرة ولدت لدى المسلمين في الغرب شعوراً متزايداً بالخوف وانعدام الأمان. لذا تسعى الدراسة إلى تسليط الضوء على الجوانب الآتية:

1. أسباب بروز الإسلاموفوبيا وتناميها، وأثرها في خطاب الكراهية في الغرب عامةً وأوروبا خاصةً.
2. توظيف الإسلاموفوبيا واستغلالها في مختلف المجالات، ولا سيما في الحملات الانتخابية.
3. صعود اليمين المتطرف المرتبط بالإسلاموفوبيا، وتزايد حظوظه في الوصول إلى السلطة في أوروبا عامةً وفرنسا خاصةً.
4. دور الإعلام في تأجيج خطاب الكراهية الناتج عن الإسلاموفوبيا، ودور وسائل التواصل الاجتماعي في تمّده وانتشاره.
5. التدابير الاحترازية والتشريعات القانونية الرامية إلى الحدّ من توظيف الإسلاموفوبيا في المجتمعات الغربية.

ثانياً: إشكالية الدراسة

تكمن إشكالية الدراسة في صعوبة الوقوف على المحدّدات التاريخية والاجتماعية المفسّرة لانتشار ظاهرة الإسلاموفوبيا، ولدورها في إثارة العنف والكراهية اللذين يولّدان العداء تجاه المسلمين المقيمين في الغرب وبؤججانه، وفي الإجابة عن سؤال: لماذا يُنظر إلى الإسلام لدى شرائح من المجتمعات الغربية بوصفه العدوّ الحالي والمستقبلي للغرب؟

كما تندرج ضمن الإشكالية مسألة الخلاف حول تعريف مفهوم الإسلاموفوبيا وتفكيكه لدى الغربيين، فضلاً عن إشكالية تمييز الإسلاموفوبيا عن غيرها من الظواهر والتوجهات والممارسات.

ثالثاً: فرضية الدراسة

تطلق الدراسة من فرضية مفادها أن صعود اليمين المتطرف وتزايد الهجرة نحو أوروبا قد كرّسا انتشار الإسلاموفوبيا واتساع رقعتها، بما أفضى إلى التحريض على العنف ضد الأقليات في الغرب، وإلى الخوف من كل ما يمتّ إلى الإسلام بصلة، على الرغم ممّا يحمله الإسلام من قيم ذات أبعاد إنسانية لا تُضمّر العداء للغرب.

كما تفترض الدراسة أن الإسلاموفوبيا قد شوّهت المسار التاريخي للعلاقات بين العالمين الإسلامي والغربي، بعد أن أوجدت حالةً من الخوف والكراهية والنظرة السلبية والإقصاء تجاه الإسلام عامةً والمسلمين في الغرب خاصةً.

وتفترض كذلك أن هذه الحالة تستدعي سنّ تشريعات واتخاذ تدابير وإجراءات تُوجد آلياتٍ فاعلةً للحدّ من انتشار الإسلاموفوبيا، بغية الحدّ من العنف والإرهاب والإقصاء بوصفها من أبرز مخرجاتها.

رابعاً: منهجية الدراسة

وظّفت الدراسة منهجين: المنهج التاريخي، والمنهج التحليلي المقارن. أمّا المنهج التاريخي فقد استُعين به لبيان مسار تطوّر حالة العداء بين الإسلام والغرب، والترويج لخطاب الكراهية في الغرب حديثاً، وتنامي ظاهرة خوف الغرب من الإسلام (الإسلاموفوبيا)؛ إذ يُعدّ الأداة الأنسب لتتبع الظواهر الرئيسة المرتبطة بالإسلاموفوبيا والمؤثرة فيها في ضوء خلفياتها وجذورها التاريخية، ومن أبرزها: خطاب الكراهية، والإسلاموية، والإسلام الراديكالي، والشعبوية، واليمين المتطرف، والعنصرية، والهيمنة، والإقصاء والتهميش.

وأما المنهج التحليلي المقارن فقد وُظِفَ لدراسة العلاقة بين الإسلاموفوبيا ومقاربات أخرى تتصل بالعنصرية والعداء للإسلام والعنف، وهي مقاربات سائدة في الغرب عامةً وأوروبا خاصةً منذ عقود. وتتبع الحاجة إلى المقارنة من كون خطاب الكراهية يفتقر إلى الاتساق، لصدوره عن خلفيات متباينة تجعله متميزاً على الرغم من وحدة منبعه ومصّبه. ومن ثمّ يتيح هذا المنهج، مشفوعاً بالنقد، بيان مواضع التوافق والاختلاف بين الخطابات والتوجّهات المختلفة، وتحديد أوجه الشبه والاختلاف بين الحالة المدروسة والظواهر الأخرى على نحو علمي، وصولاً إلى استنتاجات تُسهم في فهم الإسلاموفوبيا بتجرّد ودون انحياز.

خامساً: الدراسات السابقة

اعتمدت الدراسة على مصادر أغلبها عربية وفرنسية، يتناول أبرزها جوانب اجتماعية وسياسية وقانونية، ومن أهمها ما يأتي:

1- كتاب ستيفن شيهي:

Stephen Sheehi, Islamophobia: The Ideological Campaign Against Muslims (Atlanta: Clarity Press, 2011).

يتناول هذا الكتاب نشأة ظاهرة الإسلاموفوبيا في الغرب، ويحلّلها بوصفها خطاباً أيديولوجياً وسياسياً تشكّل بعد الحرب الباردة وتصادد بعد أحداث 11 أيلول/سبتمبر 2001. ويرى المؤلف أن تصوير المسلمين والعرب بوصفهم «خطراً» يُوظّف لتسويق سياسات داخلية وخارجية بعينها في الولايات المتحدة والغرب.

2- كتاب عالم الاجتماع الفرنسي رافانيل ليوجيه:

Raphaël Liogier, Le Mythe de l'islamisation : essai sur une obsession collective (Paris : Éditions du Seuil, 2012).

يرى المؤلف أن الخوف من «الأسلمة» قد تجاوز إطار الإسلاموفوبيا المعتاد وصفوف اليمين المتطرف ليغزو الفضاء العام، وأن الخوف من مدّ إسلامي يوشك أن يُغرق أوروبا عددٍ وثقافياً بفعل معدلات الولادة والهجرة واعتناق الإسلام ليس إلا ضرباً من ضروب الخيال. ويُشكّك المؤلف في هذا الهوس الجماعي بأسطورة «الأسلمة»، وقد اعتمدت عليه الدراسة مصدرًا مهمًا لما يطرحه من تساؤلات وإجابات حول سؤال: لماذا تحتاج أوروبا، وفرنسا على وجه الخصوص، إلى «العدو المسلم»؟

3- كتاب الصحفي والمفكر الفرنسي إدوي بلينيل:

Edwy Plenel, Pour les musulmans (Paris : Éditions La Découverte, 2014).

يُعدّ المؤلف من الأصوات الفكرية المدافعة عن حقوق المسلمين في فرنسا والمناهضة للإسلاموفوبيا. ويتصدّى في كتابه هذا لما يُسمّى «مشكلة الإسلام في فرنسا»، معلّناً وقوفه إلى جانب مواطنيه من ذوي الأصول أو الثقافة الإسلامية، وفي مواجهة أولئك الذين جعلوا من المسلمين كبش فداء لمخاوف الفرنسيين وهواجسهم. ويرى أن القضية لا تقتصر على التضامن معهم، بل تتعداه إلى الوفاء لهم؛ ولذلك ينبغي، في رأيه، أن نكتب دفاعاً عن المسلمين كما كُتِبَ من قبل دفاعاً عن اليهود والسود والعُجْر، أو ببساطة دفاعاً عن فرنسا.

4- كتاب إيزابيل كيرسيمون وجان كريستوف مورو:

Isabelle Kersimon, Jean-Christophe Moreau, Islamophobie, la contre-enquête (Paris : Éditions Plein Jour, 2014).

يتخذ الكتاب، كما يدلّ عنوانه، موقفاً مضاداً للتحقيقات السائدة حول الإسلاموفوبيا؛ إذ ينطلق المؤلفان من الأطروحة الشائعة التي ترى أن الإسلاموفوبيا، بوصفها رفضاً شاملاً وتمييزاً وعنيفاً للإسلام والمسلمين، قد غدت ظاهرةً واسعة الانتشار في فرنسا، وأن الإعلاميين والسياسيين والمتقنين وأعضاء الجمعيات باتوا معنيين بالتحرك قبل انفجار الوضع أكثر من عنايتهم بمناقشة طبيعة الظاهرة ومداها، ثم يُخضعان هذه الأطروحة للمساءلة، متسائلين عن مدى صحة المعطيات التي بُنيت عليها.

5- كتاب إيزابيث شيملا:

Elisabeth Schemla, Islam, l'épreuve française (Paris : Plon, coll. « Tribune libre », 2013).

تقدّم مؤلفة هذا الكتاب، الصحفية الفرنسية المولودة في الجزائر، تحقيقاً ميدانياً حول ما تصفه بـ«الغزو التدريجي» للإسلام الراديكالي ومنظماته المتعددة في فرنسا، وتطرح في ذلك ثلاثة أسئلة: من المسؤول؟ وكيف وصلنا إلى هنا؟ وما الحلول؟

6- كتاب فيليب دي إيريبارن:

Philippe d'Iribarne, L'islam devant la démocratie (Paris : Gallimard, coll. « Le Débat », 2013).

يناقش هذا الكتاب، الذي يحمل عنوان «الإسلام أمام الديمقراطية»، التحديات التي تواجه المجتمعات الإسلامية في تفاعلها مع مبادئ الديمقراطية وحقوق الإنسان، مع التركيز على الفروق الثقافية وعلى الانتقال من الأنظمة التقليدية إلى الأنظمة الديمقراطية، ويسلط الضوء على الصراعات الفكرية والاجتماعية التي تعيق عملية التحديث والتوفيق بين القيم الإسلامية والحدثة.

غير أن تحليل دي إيريبارن يبدو مُفرطاً في التبسيط، إذ يُغفل تعقيدات التاريخ والثقافة الإسلاميين، ويفتقر أحياناً إلى فهم عميق للتنوع القائم داخل المجتمعات الإسلامية ذاتها.

المبحث الأول: الإسلاموفوبيا: المصطلح والمفهوم والجنور التاريخية

المطلب الأول: تعريف المصطلح وتوضيح المفهوم

يُعرّف قاموس لاروس (Larousse) الفرنسي «الإسلاموفوبيا» بأنها «معاداة الإسلام والمسلمين» (Larousse, n.d.)، في حين يُعرّفها قاموس أكسفورد (Oxford) الإنجليزي بأنها «الخوف من الإسلام أو المسلمين وكراهيتهم، ولا سيما بوصفه قوةً سياسية» (Oxford University Press, n.d.).

وقد دخل مصطلح الإسلاموفوبيا (Islamophobia)، أو رهاب الإسلام، الاستخدام في اللغة الإنجليزية عام 1997، حين وظّفته مؤسسة بحثية بريطانية يسارية التوجّه تُدعى «رنيميد ترست» (Runnymede Trust) لإدانة مشاعر الكراهية والخوف والأحكام المسبقة الموجهة ضد الإسلام والمسلمين.

ويُعرّف ستيفن شيهي، أستاذ اللغة والثقافة العربية في جامعة ساوث كارولينا الأمريكية، الإسلاموفوبيا بأنها «تشكيلٌ أيديولوجي جديد، جرى التعبير عنه بوضوح منذ انهيار الاتحاد السوفيتي، وهو لا يمثل رؤية حزب سياسي، بل هو نتاج ثقافةٍ تنتشر مجازاتٍ وتحليلاتٍ وعقائدٌ محددةٌ بوصفها حقائق تُؤطر بها السياسات الحكومية والممارسات الاجتماعية» (Sheehi, 2011, p. 40).

ويُسلّط جورج هاردي مفهوم الإسلاموفوبيا حين يصفها بأنها «فُحٌّ وضع العقلانية الأوروبية والروحانية الإسلامية في حالة احتدام مستمر» (Kersimon & Moreau, 2014, p. 39).

وتتعمّد لغة الإسلاموفوبيا توجيه الإساءات والإهانات وتعبيرات الإذلال إلى المسلمين، وهي في ذلك تستجيب لظمٍ نرجسي لدى «نحن» المصطنعة، التي يقتضي تشييد أبراجها العاجية الإطاحة بالآخر الكريه أو النقيض، أي «هم»، بمعنى المسلمين. ومن هنا تؤدي التجاوزات والتعديّات والإساءات الموجهة بعناية إلى المقدّسات الإسلامية وظائف مرّكبة؛ فالمساس بالمقدّسات هو ذروة فعل الإهانة والإساءة والإذلال لمعتنقي الأديان، وهو ينطوي أيضاً على فعل فتكٍ رمزي بالمسلمين، لأن أذهانهم وأفئدتهم معلقة بهذه المقدّسات (شاكر، 2016، ص 32).

ويقف الأصوليون المتشددون في وجه المفكرين الذين يتّهمون الإسلام بالرجعية، إذ يرون أن طبيعة الإسلام لا يمكن أن تكون رجعية، لأن منهجه ونظامه يسمحان بالتكيف الفردي والجماعي مع التقدّم تلبيةً لحاجات تغير ظروف المعيشة. فإذا كان الإسلام يقرّر مبادئ ثابتة وعقوبات محددة، فإن ذلك لا يعني أن كل ما هو إسلامي إلهيٌّ ومن ثمّ غير قابل للتغيير. وعلى أية حال، فإن أي فكر أو عقيدة يتضمن مبادئ أساسية ثابتة، غير أن ذلك لا يجعله رجعيّاً بالضرورة، فالتفسير يُوظف لتكييف الفكر الإسلامي مع متطلبات الحدّثة (موصلي، 2005، ص 75).

أمّا «الفوبيا» أو الرهاب، فهو في الأصل اضطراب نفسي يصيب الأفراد، ويعني الخوف الشديد والمتواصل من مواقف أو نشاطات صادرة عن الآخرين، وقد يصحّ، قياساً على ذلك، الحديث عن رهابٍ يصيب الجماعات والدول.

وبوجه عام، تعني الإسلاموفوبيا «الكراهية والبغضاء تجاه المسلمين، أو الخوف منهم أو من الجماعات العرقية التي يُنظر إليها على أنها مسلمة»، وقد تزايدت تداعياتها في أوروبا عمومًا وفي فرنسا خصوصًا في أعقاب أحداث كانون الثاني/يناير وتشرين الثاني/نوفمبر 2015 (الزبيدي، 2016، ص 17).

المطلب الثاني: الجذور التاريخية للإسلاموفوبيا وأسباب ظهورها وتناميها

قبل تناول دور الإسلاموفوبيا في إثارة العنف والكرهية إزاء المقيمين في عموم الغرب، ولا سيّما الجاليات الإسلامية، أسعى إلى تقديم خلفية تاريخية عن بدايات ظهورها وتناميها، فضلاً عن رؤية لواقعها وأسباب بروزها وظروفه في السنوات الأخيرة. فقد نشأت هذه الظاهرة وتبلورت وتطورت تعبيراً عن عداوة الغرب الحضاري للشرق الحضاري، ولها جذور تاريخية سابقة على ظهور الإسلام؛ إذ شهد سعي الغرب إلى الهيمنة على الشرق قبل الإسلام عداوة للثقافة الشرقية وللمسيحية الشرقية، بوصفها الهوية الحضارية التي وقفت عقبة أمام هيمنة الغرب (الإغريقي/الروماني/البيزنطي) على الشرق واحتوائه وإذابته في النموذج الحضاري الغربي. ولما كانت الروح السارية في الحضارة الغربية على امتداد تاريخها، منذ جاهليتها اليونانية حتى اليوم، هي روح القوة والصراع، فقد جاء تاريخ هذه الحضارة مع الحضارات الأخرى، ولا سيّما الشرقية، حافلاً بموجات الغزو والهيمنة والاحتواء، ومن ذلك عشرة قرون هي عمر الغزوة الإغريقية الرومانية البيزنطية، التي بدأها الإسكندر الأكبر (323-356 ق.م) في القرن الرابع قبل الميلاد، وامتدت حتى هرقل (610-641م) في القرن السابع الميلادي (عمارة، 2017، ص 5).

ويرى بعضهم أن الغرب عاجز، في كل الأحوال، عن فهم العالم الإسلامي لأسباب عديدة، منها ما يتعلق بالأعراق، ومنها صعوبة فهم عادات الغرباء وتقاليدهم ودياناتهم، وهو ما يولّد الضيق بالإسلام في الغرب بفعل الصورة السلبية التي يُنظر بها إليه، ويخلق توجهاتٍ معادية له؛ إذ يُعدّ، في فرنسا مثلاً، مخالفاً لمبادئ الجمهورية العلمانية التي تُلزم، في الوقت نفسه، باحترام الأديان كافة (d'Iribarne, 2013, pp. 19-20). وقد شهدت أوروبا قدوم موجاتٍ من المهاجرين من مستعمراتها السابقة ذات الثقافة الإسلامية، ممّن استقروا فيها وأصبحوا مقيمين دائمين.

ولعل ظهور الإسلاموفوبيا بصيغتها الحديثة في الغرب قد تنامي مع بروز الإسلام الراديكالي، متزامناً مع الحرب في أفغانستان في ثمانينيات القرن الماضي، ثم أخذ بالتوسع في أوروبا منذ مطلع التسعينيات، إثر انتهاء تلك الحرب، والحرب التي شنتها التحالف الدولي على العراق في أعقاب غزوه الكويت. وثمة أسباب أخرى أسهمت في تكوينها وظهورها بشكلها الجديد، منها: الاعتداء على الرموز الإسلامية بأشكالٍ مختلفة وحالاتٍ متواترة، واتباع سياسات عنصرية وتهميشية، وتفشي البطالة، وغياب الأفق الأيديولوجي لدى الشباب المسلم، ولا سيّما العرب منهم.

ولعل الإسلاموفوبيا ظاهرة أفرزتها جملة الأحداث الإقليمية والدولية التي شهدتها العالم، فمفهومها، في أبعاده التاريخية والثقافية والسياسية، ذو جذور عميقة تعكس تاريخاً مضطرباً في أحيان كثيرة بين الغرب والشرق. وفي خضمّ الأزمات التي تعصف بين حين وآخر بعلاقات الطرفين، تُسهم بعض وسائل الإعلام الغربية في إذكاء مشاعر الخوف من الإسلام والمسلمين على نحوٍ مطّرد ("الإسلاموفوبيا وإشكاليات التهميش والاندماج"، 2010).

ويُرجع كثيرون ظهور الإسلاموية في البلدان الإسلامية إلى السياسات الكارثية للأنظمة الحاكمة فيها، في حين يُرجعون انتقالها إلى العالم الغربي إلى سياسات الهجرة والاندماج القاصرة (Sfeir, 2013, p. 100).

ويرى مراقبون أن الإشكال لا يكمن في طبيعة الدين الإسلامي، ولا في سلوك العرب أو المسلمين في أوروبا، بل في «ذهنية الأوروبي الذي يسحب الهجمات الإرهابية على كافة المسلمين، ومن ثمّ يعتقد مخطئاً أن الإسلام هو كذلك»، مع أن الحقيقة على خلاف ذلك تماماً (بوقنور وقسوم، 2019، ص 47-48).

المبحث الثاني: أشكال الإسلاموفوبيا ودور الإعلام الغربي في بث الكراهية تجاه المسلمين

المطلب الأول: أنماط الإسلاموفوبيا وتوجهاتها

تتعدد صيغ التعبير عن الإسلاموفوبيا، فقد تأتي بلغة واضحة ومباشرة ذات سمات ظاهرة ومفاتيح تقليدية، أو بلغة غير مباشرة تعتمد الرموز والإيحاءات. وعمومًا، تبني لغة الإسلاموفوبيا منطقها على أن المشكلة كامنة في المسلمين أو دينهم أو ثقافتهم، وتقدم ذرائع وحججًا وإشارات تُسند بها أحكامها المسبقة التعميمية على أنها براهين، وهي بهذا المعنى تعبّر عن موقف مبني صارم أو جذري شامل من الإسلام والمسلمين (شاكر، 2016، ص 31).

إن لغة الإسلاموفوبيا في فرنسا مثلًا، التي لا تميز بين المسلمين والإرهابيين وتضعهم جميعًا في بوتقة واحدة، مستغلة مشاعر الريبة والجهل والخوف إزاء المسلمين، كانت ذات يوم محصورة في صفوف اليمين المتطرف، ثم ما لبثت أن تفشّت بلا هوادة في الأحزاب المحافظة الحاكمة، قبل أن تنتسب إلى قطاعات واسعة من اليسار العلماني، في وضع يمثل هزيمة تاريخية أشد فداحة من مجرد خسارة الانتخابات. وتتمحور هذه اللغة، لدى عدد من المثقفين الفرنسيين البارزين، حول عبارات مبتذلة من قبيل «مناطق إسلاموية يتعدّى الاقتراب منها» و«مناطق الجمهورية الضائعة» التي جرت أسلمتها، وهي شعارات أغرقت بها وسائل الإعلام وامتأ بها الخطاب السياسي على مدى عقود. وتستنفّر هذه اللغة مفردات الخوف والقلق وتشهرها في وجه ما يُفترض أنه تهديد وجودي، يُعبّر عنه بخشونة تلائم أغراض أصحابها، في صورة مصطلحات من قبيل: الجهادية، والإسلاموية، والسلفية، والتطرف، والجماعاتية، وأخيرًا «الانفصالية الإسلامية» (بورغا، 2020).

ولعلّ من أبرز صور «رموز الإسلاموفوبيا» فعل إحراق المصحف الشريف في تظاهرات إعلامية علنية، لما يمثله من عدوان رمزي على المسلمين جميعًا؛ فلا يبدو مستغربًا أن تصدر في ثنايا هذه التظاهرات تعبيرات وإيحاءات مهينة أو متشنجة بحق المسلمين، وصياغات مشبعة بالأحقاد والأضغان، ولا سيما أن الرسالة لا تقتصر على النص أو منطوق القول المجرد.

والإسلاموفوبيا، شأنها شأن أي خوف أو نفور، تتسم بإحساس مبالغ فيه بالنفور والعداء تجاه المسلمين، يتولد عنه ردّ فعل عنيف ضدهم في الغرب. ولا تقتصر الأفعال المعادية للإسلام على ما يلحق ضررًا جسديًا بالناس، بل قد تشمل أعمالًا رمزية مثيرة للجدل، كالرسوم الكاريكاتيرية للنبي محمد التي نشرتها صحيفة «يولاندس بوستن» الدنماركية في أيلول/سبتمبر 2005، وبلغت أزماتها ذروتها مطلع عام 2006، وقد أدانها كثير من المسلمين لما رأوا فيها من إهانة غير مقبولة، بل من تجديف (Khamis, 2018, p. 77).

وحيث لا دين ولا تاريخ بلا رمز وترميز، فمنطقيًا لا إنسان بلا رمز وترميز. ولما كان الترميز في مساره الديني أو التاريخي يتجاوز الواقع ليخلق من خلاله معنى أكبر وأشمل وأبقى، فلا مناص من انطباع العملية الترميزية ذاتها بملامح الأسطورة؛ وقد تكون هذه الأسطورة بادية للعيان (المحمود، 2018)، وقد تكون متخفية بأعطية مختلفة لتمرير أهدافها وتحقيق توجهاتها، كما هي حال الإسلاموفوبيا ورموزها وترميزاتها في فرنسا وخارجها.

ولعلّ هذه الممارسات والتوجهات تجري في الغالب في سياق استهداف مؤدلج للمسلمين، دافعه الإسلاموفوبيا وأداته الشعبوية، في ظل تهاون رسمي في عدد من البلدان الأوروبية، وفي مقدمتها فرنسا.

ويرى الكاتب والأكاديمي الفرنسي رافائيل ليوجيه (Raphaël Liogier) أن «الخوف من الأسلمة قد تجاوز اليوم صفوف اليمين المتطرف ليغزو الفضاء العام»، كما يتحدث عن مؤامرة وهمية تتجاوز المسار المؤلف للإسلاموفوبيا، تتضمن خطابات المثقفين والسياسيين الفرنسيين على حدّ سواء، وتندرج ضمن سياسة صناعة فزاعة قوامها «الإسلام والإسلاميون». ولعلّ هذا التنفيذ يفسّر لنا لماذا باتت أوروبا، وفرنسا على وجه الخصوص، بحاجة مؤخرًا إلى صناعة «عدو إسلامي» (Liogier, 2012, pp. 23-41).

في حين تخصصّ الكاتبة الفرنسية إليزابيث شيملا (Elisabeth Schemla) في كتابها «الإسلام، المحنة الفرنسية» (Islam, l'épreuve française) فصلًا بعنوان «أنت مسلم، نحن مذعورون»، تقول فيه: «الفرنسيون سئموا الإسلام. الفرنسيون يخافون الإسلام. إسلام، إسلام، إسلام... خوف، خوف، خوف... إسلام، خوف، إسلام، خوف، إسلام، خوف... ممّ نخاف؟ من سماع هذه الكلمات المفتاحية طوال النهار، بالتأكيد!» (Schemla, 2013, p. 19).

وفي المقابل، نجد من بين الكُتّاب الفرنسيين المنصفين للإسلام والمسلمين الكاتب والصحفي إدوي بلينيل، الذي يُدين في كتابه «من أجل المسلمين» (Pour les musulmans) المثقفين الفرنسيين الذين يخلطون عمدًا، تحت وطأة خلفيات أيديولوجية عنصرية، بين الإسلام والإرهاب والعنف؛ إذ يرى أن الإسلاموفوبيا بلغت حدًا لم يعد السكوت عنه ممكنًا أخلاقيًا، لأن الأمر بات خطيرًا ويهدّد بانهايار النسيج الاجتماعي الفرنسي نتيجة تقبّل العنف ضد عموم المسلمين، وأن معاداة المسلمين والمهاجرين عمومًا قد غدت إجماعًا أيديولوجيًا يُتوسّل به إلى السلطة، ويُعطى به على الإخفاق الفرنسي العام في جميع المستويات، مع رفض الإقرار بأن الإسلام بات مكونًا ثقافيًا نابعا من التطور السوسيوولوجي للتاريخ الفرنسي (Plenel, 2014, p. 53).

المطلب الثاني: دور الإعلام الغربي في الترويج للإسلاموفوبيا ضد الإسلام والمسلمين

لعل من السمات الواضحة أن يجري تناول المسلمين إجمالاً بطريقة تعميمية سلبية، فلا يكون المسلم أو المسلمة موضع تقدير أو إشادة إلا لدى انحرافه عن دينه أو خروجه على نسق المسلمين؛ إذ نجد أن المسلمين الذين يحظون بإشارات إيجابية في خطابات الإسلاموفوبيا هم غالباً أولئك الذين مارسوا نقداً ذاتياً لاذعاً، أي أقدموا على فعل «جلد الذات»، بل ربما من المرتدّين عن دينهم صراحةً أو ضمناً. ولكارهي أنفسهم موقع مهمّ في منصات الخطاب التي تبيث رسائل التشويه والكراهية والإسلاموفوبيا؛ لأنهم يُقدّمون بصفة الشهود من داخل الفضاء الإسلامي نفسه، انطلاقاً من منطق «وشهد شاهد من أهلها» (شاكراً، 2016، ص 33).

وتتعاظم أهمية المحور الإعلامي في ظل النجاح الذي حققه الإعلام الغربي في معركة تشويه الإسلام، والإساءة إلى صورة العربي والمسلم، وإصاق صفة «الإرهاب» بالمسلمين، وهو ما يستدعي البحث عن فضاءات جديدة يمكن ارتيادها والتأثير في مضامينها، أو بمعنى أدق التفوق في ميادين بديلة توفر منصات وآليات تُجهض خطاب الكراهية، وتكشف مضامين حملات التشويه والافتراء على الإسلام ديناً ورسالةً وقيماً وأمةً ومنهجا؛ فتتعدد خيارات التمديد في الفضاء الإعلامي بما يشكّل على المدى البعيد حائط صدّ أمام التضليل الإعلامي، وعلى المدى القريب قفزة نوعية في مواجهة تداعيات الإسلاموفوبيا، والتحول من حالة دفاعية كثيراً ما تسيطر على المسلمين إلى حالة من النديّة والتوازن وفرض الاحترام على الطرف الآخر، وربما حيازة «القوة الناعمة» مستقبلاً (إبراهيم، 2016).

وبهدف التركيز على إعلامٍ محترف يتواصل مباشرةً مع المعنيين بصياغة سياسة إعلامية تحول دون الاستمرار في إنتاج الإسلاموفوبيا، ينبغي توضيح الأخطاء وكشف التحيزات، واللجوء إلى القضاء إن اقتضى الأمر لإيقاف التغطيات المغرضة والمجتزأة، أو التنسيق مع المنظمات المعنية بمواجهة التمييز.

الخاتمة

إن تفسير ظاهرة الإسلاموفوبيا وتأثيراتها في الجاليات المسلمة في الغرب عموماً وفي أوروبا خصوصاً، والوقوف على أسبابها لا على نتائجها فحسب، ومعرفة مصادر استمرارها وانتشارها، يكشف أن مهمة وقف تمددها في الغرب لا تقع على عاتق طرف واحد، بل هي رسالة إنسانية ينبغي أن تتضافر لأجلها جهود العالم بأسره.

وللتخفيف من احتمالات تصاعد ظاهرة الإسلاموفوبيا في أوروبا، يتعيّن على الجهات المعنية، الرسمية والمدنية على حدّ سواء، العمل على محاور متكاملة عدة. فعلى صعيد الوعي والتعليم، ينبغي نشر المعرفة بحقيقة الدين الإسلامي والمجتمعات المسلمة في أوروبا، ولا سيّما داخل المؤسسات التعليمية، مع تنظيم ندوات تعليمية ودورات تدريبية للمعلمين والموظفين العموميين، وبخاصة أجهزة الشرطة. ويتعيّن في المقابل أن يضطلع المسلمون أنفسهم بحملات توعية تميّز بين تعاليم الإسلام والتطرف الذي يُرتكب باسمه.

وعلى الصعيد القانوني والمؤسسي، يقتضي الأمر وقف الممارسات التمييزية بحق ممثلي الجاليات المسلمة في أوروبا، وكذلك بحق طالبي اللجوء الذين فروا من بلدانهم بسبب النزاعات والحروب. ومن الضروري أن تصنّف أجهزة الشرطة الجرائم القائمة على العداء للمسلمين فئةً مستقلة ضمن جرائم الكراهية، بما يتيح الكشف عن الحجم الحقيقي لهذه المشكلة ورسم استراتيجيات لمكافحتها. كما يُعدّ صون منظومة حقوق الإنسان وحماية حقوق الأقليات، بما في ذلك الذبح الحلال والختان وارتداء الملابس والرموز الدينية، أمراً لا غنى عنه لأوروبا متعددة الثقافات، إلى جانب إجراء تعديلات تشريعية تتيح للجاليات المسلمة عطلاً رسمية في مناسباتها الدينية، وتكفل للنساء المسلمات حرية ارتداء الحجاب في الأماكن العامة والخاصة.

وفيما يتعلق بالبعد الاقتصادي والاجتماعي، ينبغي تحسين فرص وصول النساء المسلمات إلى سوق العمل، بوصفهن الفئة الأكثر تعرّضاً للتمييز بين المسلمين، على أن تولي إدارات المساواة بين الجنسين واللجان المعنية في مؤسسات الاتحاد الأوروبي عنايةً خاصة بحالات التمييز التي تطالهن، عبر توثيقها والدفع باتجاه برامج وإجراءات محددة لمكافحتها. كما يجب معالجة التمييز في أماكن العمل للحدّ من انخفاض مستوى النشاط الاقتصادي بين المسلمين، عبر تدخلات محددة في مراحل التوظيف والاستمرار في العمل والترقية.

وعلى المستوى الخطابي والسياسي، يجب التصدي لخطاب الكراهية الرقمي مع صون حرية التعبير، عبر وضع إرشادات واضحة لمعالجة خطاب الكراهية على الإنترنت، والنظر في تشريعات تنظّم مخالقات وسائل التواصل الاجتماعي، نظراً للدور الكبير الذي تؤديه شبكة الإنترنت في نشر الإسلاموفوبيا وفكر اليمين المتطرف. ومن الضروري أيضاً انتهاز سياسة منفتحة وشفافة تجاه المسلمين، ولا سيّما بعد الهجمات الإرهابية التي شهدتها بعض الدول الأوروبية، وأن توجّه السلطات الأوروبية رسائل طمأنة قوية تحول دون تفشّي الإسلاموفوبيا. وأخيراً، يتمثّل أنجع التدابير الوقائية من التطرف في الدعم المتماusk للمجتمعات المسلمة المناهضة له.

ولا تزال خيارات الشعوب الأوروبية تميل نحو الاعتدال، على الرغم من تأثير أطروحات اليمين في المجتمعات الأوروبية. ولعل زيارة البابا إلى القاهرة أواخر نيسان/أبريل 2017 كانت تهدف، في أحد أهدافها، إلى بناء جبهة موحدة في مواجهة التطرف، كما أن الشعار الذي تبنته مكتبة الإسكندرية لمؤتمرها السنوي في ذلك العام، «معًا ضد التطرف»، يمثل الرسالة الأهم لما ينبغي أن تكون عليه استراتيجيات التعاون بين أوروبا والعالمين العربي والإسلامي.

ويشهد العالمان الأوروبي والإسلامي اليوم أزمة كبيرة تستدعي تعاونهما في مواجهة التطرف السياسي والديني من كلا الجانبين، إذ لا يمكن السماح للمتطرفين بتدمير العلاقات الراسخة والممتدة بين الطرفين؛ ومن هنا ظهرت في أوروبا تكتلات وجهات من القوى المحافظة التقليدية والمعتدلة للوقوف صفاً واحداً في وجه أجنحة اليمين المتطرف.

وخلاصة القول إن الإسلاموفوبيا تتمثل في الخوف من الإسلام والمسلمين بسبب معتقداتهم وثقافتهم، وهي مخاوف ليست جديدة، بل تعدّ في كثير من الأحيان ضرباً من التمييز الديني أو العرقي الممتد منذ زمن بعيد، وإن ازدادت وتيرتها في العقود الثلاثة الأخيرة.

وفي هذا السياق، يبدو أن رسوخ الصور النمطية في الوعي الجمعي للمجتمعات الغربية يمثل المعضلة الأساس؛ لأنه يغري الصناعة الإعلامية والإعلانية باستئثارها وتوظيفها في منحى تشويهي أو تحريضي. ومن ثم فإن مواجهة الإسلاموفوبيا تقتضي العمل على تفكيك هذه الصور في منابعها، واحتواء الجماعات التي تروج لها أو تحييد نشاطها قدر الإمكان، لا الاقتصار على التصدي لخطابات الكراهية الصادرة عنها بعد وقوعها.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية

- إبراهيم، أحمد. (2016، 28 تموز). الإسلاموفوبيا: خارطة طريق نحو المواجهة. المعهد المصري للدراسات. <https://eipss-eg.org>
- الإسلاموفوبيا وإشكاليات التهميش والاندماج. (2010، 9 نيسان). مجلة اللقاء، (18). هيئة علماء بيروت. <https://www.allikaa.net/subject.php?id=282>
- بورغا، فرانسوا. (2020، 27 تشرين الثاني). الإسلاموفوبيا التي ترعاها الدولة الفرنسية هي أكبر خطر على الجمهورية. عربي21. <https://arabi21.com/story/1317896>
- بوقنور، إسماعيل، وقسوم، سليم. (2019). الإسلاموفوبيا في أوروبا: الخطاب والممارسة. المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية.
- الزبيدي، وليد. (2016). جذور الإسلاموفوبيا في الغرب ومآلاتها المستقبلية: فرنسا أنموذجاً. مجلة دراسات شرق أوسطية، (77)، ص ص 26-39.
- شاكور، حسام. (2016). لغة الإسلاموفوبيا وتعبيراتها الإعلامية في الواقع الأوروبي. رؤية تركية، (4)، 5، <https://rouyaturkiyyah.com/research-articles-and-commentaries>
- عمارة، محمد. (2017). ظاهرة الإسلاموفوبيا: الجذور التاريخية والنهائيات المنتظرة. دار البشير للثقافة والعلوم.
- المحمود، محمد. (2018، 24 أيلول). الرمز والترميز في الدين والتاريخ. الحرة. <https://www.alhurra.com/different-angle/2018/09/24>
- موصلي، أحمد. (2005). موسوعة الحركات الإسلامية في الوطن العربي وإيران وتركيا (ط2). مركز دراسات الوحدة العربية.

ثانياً: المصادر الأجنبية

- Iribarne, P. (2013). L'islam devant la démocratie. Gallimard.
- Kersimon, I., & Moreau, J.-C. (2014). Islamophobie, la contre-enquête. Plein Jour.

- Khamis, S. (2018). Réflexions sur la lutte contre l'islamophobie en ligne. In *Lutte contre l'industrie de l'islamophobie : vers des stratégies plus efficaces* (pp. 22-25). The Carter Center.
- Larousse. (n.d.). Islamophobie. In *Dictionnaire de français Larousse*. Retrieved September 11, 2026, from <https://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/islamophobie/186470>
- Liogier, R. (2012). *Le mythe de l'islamisation : essai sur une obsession collective*. Seuil.
- Oxford University Press. (n.d.). Islamophobia. In *Oxford English Dictionary*. Retrieved July 20, 2026, from <https://www.oed.com>
- Plenel, E. (2014). *Pour les musulmans*. La Découverte.
- Schemla, É. (2013). *Islam, l'épreuve française*. Plon.
- Sfeir, A. (2013). *L'Islam contre l'Islam : l'interminable guerre des sunnites et des chiites*. Grasset.
- Sheehi, S. (2011). *Islamophobia: The ideological campaign against Muslims*. Clarity Press.

References

- Al-Islamofobia wa ishkaliyyat al-tahmish wa al-indimaj [Islamophobia and the problems of marginalization and integration]. (2010, April 9). *Majallat al-Liqa'*, (18). Hay'at 'Ulama' Bayrut. <https://www.allikaa.net/subject.php?id=282>
- Al-Mahmoud, M. (2018, September 24). Al-ramz wa al-tarmiz fi al-din wa al-tarikh [Symbol and symbolization in religion and history]. *Al-Hurra*. <https://www.alhurra.com/different-angle/2018/09/24>
- Al-Zaidi, W. (2016). Judhur al-Islamofobia fi al-Gharb wa ma'alatuha al-mustaqbaliyya: Faransa unmuḥdajan [The roots of Islamophobia in the West and its future implications: France as a case study]. *Majallat Dirasat Sharq Awsatiyya* [Middle East Studies Journal], (77), 25-39.
- Amara, M. (2017). *Zahirat al-Islamofobia: Al-judhur al-tarikhiyya wa al-nihayat al-muntazara* [The phenomenon of Islamophobia: Historical roots and expected outcomes]. Dar al-Bashir lil-Thaqafa wa al-'Ulum.
- Bouknour, I., & Kassoum, S. (2019). *Al-Islamofobia fi Uruba: Al-khitab wa al-mumarasa* [Islamophobia in Europe: Discourse and practice]. Arab Democratic Center for Strategic, Political and Economic Studies.
- Burgat, F. (2020, November 27). Al-Islamofobia allati tar'aha al-dawla al-Faransiyya hiya akbar khatar 'ala al-jumhuriyya [State-sponsored Islamophobia in France is the greatest danger to the Republic]. *Arabi21*. <https://arabi21.com/story/1317896>
- Ibrahim, A. (2016, July 28). Al-Islamofobia: Kharitat tariq nahwa al-muwajaha [Islamophobia: A roadmap for confrontation]. Egyptian Institute for Studies. <https://eipss-eg.org>
- Iribarne, P. d'. (2013). *L'islam devant la démocratie* [Islam facing democracy]. Gallimard.
- Kersimon, I., & Moreau, J.-C. (2014). *Islamophobie, la contre-enquête* [Islamophobia: The counter-investigation]. Plein Jour.

- Khamis, S. (2018). Réflexions sur la lutte contre l'islamophobie en ligne [Reflections on countering online Islamophobia]. In *Lutte contre l'industrie de l'islamophobie : vers des stratégies plus efficaces* [Countering the Islamophobia industry: Toward more effective strategies] (pp. 22-25). The Carter Center.
- Larousse. (n.d.). Islamophobie [Islamophobia]. In *Dictionnaire de français Larousse*. Retrieved September 11, 2026, from <https://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/islamophobie/186470>
- Liogier, R. (2012). *Le mythe de l'islamisation : essai sur une obsession collective* [The myth of Islamization: An essay on a collective obsession]. Seuil.
- Moussalli, A. (2005). *Mawsu'at al-harakat al-Islamiyya fi al-watan al-'Arabi wa Iran wa Turkiya* [Encyclopedia of Islamic movements in the Arab world, Iran and Turkey] (2nd ed.). Markaz Dirasat al-Wahda al-'Arabiyya.
- Oxford University Press. (n.d.). Islamophobia. In *Oxford English Dictionary*. Retrieved July 20, 2026, from <https://www.oed.com>
- Plenel, E. (2014). *Pour les musulmans* [For the Muslims]. La Découverte.
- Schemla, É. (2013). *Islam, l'épreuve française* [Islam, the French ordeal]. Plon.
- Sfeir, A. (2013). *L'Islam contre l'Islam : l'interminable guerre des sunnites et des chiites* [Islam against Islam: The endless war between Sunnis and Shiites]. Grasset.
- Shaker, H. (2016). Lughat al-Islamofobia wa ta'biratuha al-i'lamiyya fi al-waqi' al-Urubbi [The language of Islamophobia and its media expressions in the European context]. *Ru'ya Turkiyya*, 5(4), 25-41. <https://rouyaturkiyyah.com/research-articles-and-commentaries/>
- Sheehi, S. (2011). *Islamophobia: The ideological campaign against Muslims*. Clarity Press.